

Lebanese American University

From the SelectedWorks of Ghassan Dibeh

October, 2009

Toward a 100,000 Votes Party

Ghassan Dibeh, *Lebanese American University*



SELECTEDWORKS™

Available at: http://works.bepress.com/ghassan_dibeh/40/

نحو حزب المائة ألف صوت

د. غسان ديبه

إن الأحزاب السياسية التي تشكلت في الأزمنة الحديثة منذ نهاية القرن التاسع عشر لديها معدل حياة قريبة من معدلات الحياة لدى البشر. ويبلغ الحزب الديمقراطي الاجتماعي الألماني مثلاً عمراً يناهز المائة و 35 عاماً، وهو من أقدم الأحزاب في العالم، إذا استثنينا الأحزاب في الولايات المتحدة الأميركية. وفي هذا الإطار فإن الحزب الشيوعي اللبناني يحتفل بعيدته الـ 85 اليوم هو حزب أصبح حزباً معمرًا، فالعديد من الأحزاب تشكلت واختفت قبل بلوغها سن الـ 85. والحزب أيضاً هو من أقدم الأحزاب الشيوعية في العالم التي لم تدخل برلمان بلادها، وهو بذلك ينضم إلى مجموعة أقلية من هذه الأحزاب، أكثر ما تتركز في البلدان الانجلو – سكسونية، مثل الولايات المتحدة الأميركية، كندا، بريطانيا، وأستراليا.

الاحتفالات هذه السنة تأتي في أيام صعبة على الحزب الشيوعي، بل من أصعبها. ففي الانتخابات الأخيرة عام 2009 سجل الحزب ربما أسوأ أرقام انتخابية في تاريخه، وانتقل موضوعياً من حزب كانت بعض القوى والأحزاب السياسية، خصوصاً، في الانتخابات الأخيرة تحاول استمالة، إلى حزب هامشي على المستوى السياسي. ففي الحسابات البسيطة يبدو الحزب قد أصبح: حزباً هراً، ضعيف التأثير، وغير قادر على استمالة حتى الشرائح الاجتماعية ذات الميول الوطنية، والعلمانية، والساعية إلى الحداثة في لبنان.

فما هي إذا الخيارات للمستقبل؟ طبعاً هناك أحزاب شيوعية كثيرة قد واجهت مواقف تاريخية، أكثر ربما أو أقل صعوبة، وواجهت وجودياً السؤال اللينيني "ما العمل؟" فمنها من أجاب على هذه التحديات بالارتكاز إلى الفتوية والمواقف اليوتوبية اليسارية وانتهى إلى التهميش والإنحلال، ومنها من إتبع خط سياسي أكثر واقعية معتمداً على ما أسماه جورج لوكاش، بعد انعتاقه من اليسارية المتطرفة، بـ "الفكر الماركسي الحقيقي" وكان لها نجاحات أكبر في التطور والوصول إلى السلطة. ومن هنا على الحزب الشيوعي اللبناني حسم خياراته من الآن إما الاستمرار في سياساته المتبعة منذ خروج أفواج الانحرافات اليمينية من الحزب في السنوات الأخيرة، وهي سياسات خليط من الفتوية، والعشائرية، والنقابوية بالإضافة إلى تحول الحزب في بعض الأحيان إلى شبه – جمعية من جمعيات المجتمع المدني. وإما البدء بالتفكير جدياً في المسار السياسي المستقبلي للحزب من حيث وضع هدف أساسي من الآن أمام الحزب، وهو التحول إلى حزب برلماني، ووضع الوصول إلى السلطات الدستورية اللبنانية من برلمان وحكومة في صلب استراتيجيته. فالحزب الشيوعي ليس حزب احتجاجي، ولا هو حزب لدعم القضايا مهما كانت، ولا هو الحزب الذي لديه "حسّ اجتماعي". وفي النقطة الأخيرة فإن الحزب الشيوعي هو الحزب الذي يطرح "المسألة الاجتماعية" المنبثقة عن الصراع بين الرأسمال والعمال (والآن بدأ الصراع بين الرأسمال والمجتمع ككل) في صلب العملية السياسية وفي الصراع السياسي من أجل الوصول إلى السلطة. فالبرامج والشعارات قد تتغير إلا أن الطبيعة الأساسية للحزب وهي الطبيعة السياسية هي غير قابلة للتغير إن نظرياً أم عملياً.

ويجب أن تأتي نتائج الانتخابات الأخيرة كالصدمة التي تدفع بالحزب إلى هذا الخيار بدلاً من خيار الفتوية والتفوق. فالحزب الذي عُرف تاريخياً بالحزب الديناميكي الذي على الرغم من

صغر حجمه إلا انه لعب أدواراً وطنية كبيرة في تاريخه من الصراع الاجتماعي إلى النضال ضد الفاشية والاحتلال الإسرائيلي لا يمكنه أن لا يجد حلاً لمفارقة عدم وصوله إلى الندوة البرلمانية. طبعاً لعبت المؤسسات اللبنانية المتقدمة وأزمة الحزب الداخلية دوراً في الوصول إلى النتائج الأخيرة إلا أن هذا لا يعفي الحزب من مهمة العمل من أجل تخطي هذه الظروف الموضوعية والذاتية الصعبة عبر وضع خطة من الآن لخوض الانتخابات القادمة، وما رهان الحزب الحالي على رافعة تاريخية من اليسار العربي أو المقاومة في لبنان إلا هروباً إلى الأمام. والنقاش الذي يدور دائماً داخل الحزب حول المشاركة في الانتخابات أم عدمها يجب أن ينتهي. فإذا كان الحزب لا يريد المشاركة في الانتخابات فماذا يفعل؟ ولا يمكن للحزب أن يبقى منتظراً القانون النسبي الانتخابي معتمداً على أن هذا القانون سيتيح له الوصول إلى البرلمان. فالنتائج الأخيرة للحزب سجلت ضربة قوية لهذه المقولة لأن الحزب بوضعه الحالي لا يمكنه الوصول إلى البرلمان في أي قانون نسبي بدءاً بقانون فؤاد بطرس السيئ جداً وصولاً إلى أكثر قانون نسبي ليبرالية وهو الدائرة الانتخابية الأولى الذي سيفرض على الحزب الحصول على حوالي المائة ألف صوت من أجل تأمين مقاعد له في المجلس النيابي.

وحتى ولو جرت الانتخابات القادمة بقانون الستين أو قانون فؤاد بطرس، الشبيه بقانون الستين، فإن تحضير الحزب نفسه للانتخابات سيجعله قابلاً بقوة للتحالف مع أحزاب أخرى على مستوى الاقضية. وفي هذا الإطار على الحزب أن يبلور مواقف وبرامج تفصيلية من قضايا عدة مثل الاقتصاد، والمالية العامة، والسياسات الضريبية، وخفض الدين العام، ومؤسسات القطاع العام، والصحة، والتربية، والبيئة، والنقل العام، وسياسة الطاقة بالإضافة إلى المواضيع السياسية الكبرى مثل اتفاق الطائف، والعلمنة، وقانون الأحزاب، والانتخابات، وهذا سيتطلب ورشة حزبية كبرى تبدأ بحملة لإعادة الشيعيين إلى الحزب وضم المجموعات اليسارية المختلفة إليه، وذلك عبر تأليف لجننتين واحدة للمصالحة الشيعية، وأخرى للحوار مع اليسار من أجل إعادة إنتاج حزب يساري يمثل المجتمع ضد الرأسمال، يمثل الطبيعة ضد الرأسمال، ويطرح البديل الاقتصادي الاجتماعي لتجاوز الرأسمالية الليبرالية التي انهارت خلال الأزمة الحالية والتي ستبدأ مفاعيلها السياسية بالظهور تبعاً مع إعادة تشكل البدائل على المستوى العالمي.

فهل سيستمر الحزب بسياسته الحالية التي ستوصلنا إلى خيبة أمل أخرى أم سيتحضر الحزب من الآن للانتخابات القادمة؟ إن الحزب أمام مفصل تاريخي كبير فإما أن يضمحل أو يتحول فعلاً إلى حزب الديمقراطية الاشتراكية والعلمانية والمقاومة في لبنان كمشروع مستقبلي للبنان وكأمانة لمئات الشهداء الشيعيين الذين سقطوا دفاعاً عن الحزب وعن لبنان أملين بعالم أفضل.